

منهج التربية القآني
القائم على خدمة الجماعة والمجتمع

جعل القرآن اهتمامه الأول بالإنسان الفرد وبتكوينه وحرص على تهذيبه إيماناً منه بأن الفرد هو اللبنة الأولى والأساس الذي تبنى عليه المجتمعات .
 ولا يظن ظان أنه - القرآن - قصر اهتمامه بالفرد ولم يعن بالجماعة ..
 كلا فالجماعة في اهتماماته أليس الفرد جزءاً من الجماعة ؟ وما الجماعة إلا مجموعة أفراد إن صلحوا صلح شأن المجتمع .
 والمتأمل منهج القرآن وحرصه على الجماعة يجد عجباً ويجد ما يدعو للدهشة والتساؤل .

يبرز هذا الاهتمام في كل جوانب الحياة : السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعلاقات الجوارح مع الأمم الأخرى ، لأنه دين السلام ، والأمان والحياة التي تسودها المحبة ويظل أبعادها الوئام ، فإذا نظرت إلى جوانب اهتمامات المنهج القرآني بالجماعة تجده مثلاً في :

١- الذاحية السياسية :

فقد نظم الحياة في منظومة الجماعة ، ودعا إلى ما يؤدي إلى انتظامها وحسن سيرها وتمن العلاقة بين الحاكم والمحكوم .

• دعا إلى طاعة أولى الأمر فقال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ

الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ [المائدة: ٩٢]

وقال عز من قائل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... ﴾ [النساء: ٥٩]

• الرجوع إلى الله وما أنزل من عنده وإلى الرسول وما أمر به عندما تظهر

أمام المجتمع مشكلة من المشاكل أو أمر من الأمور - يقول تعالى :-

﴿ ... فَإِن نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ

خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩]

• إرساء الشورى كمبدأ تقوم عليه الحياة .

-يقول تعالى - :-

﴿...وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ...﴾ [الشورى: ٣٨]

وقد أشر عن النبي - ﷺ - أنه كان يشاور أصحابه في كل ما يهم أمر الجماعة الإسلامية وفي الأمور الصيرية التي تتوقف عليها حياتهم عملاً - بقوله تعالى - :-

﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [آل عمران: ١٥٩]

فقد شاور أصحابه في غزوة بدر ، كما شاورهم في غزوة الخندق .

الحكم بالعدل بين الناس ، وأمر الناس العمل به ، - قال تعالى - :-

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]

كما أثبت - عليه الصلاة والسلام- هذا المعنى في حديثه الشريف :
" الأئمة من قريش ، ولي عليكم حق عظيم ، ولهم ذلك ما فعلوا ثلاثاً : إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " (١)

وقد أكد أبو بكر الصديق مبدأ الشورى من أول يوم ولي فيه الحكم ، حين قال في أول خطبته له إلى المسلمين :

" لقد وليت عليكم وليت بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم " وكذلك كانت سيرة عمر لم يحد عن الطريق بل التزم الحق المطلق ، يساوى بين

١- الطبراني من حديث أنس .

القوى والضعيف في إقرار الحق وأخبر بذلك في قوله : " القوى فيكم ضعيف عندي والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له " .

- محاسبة الحاكم لنفسه ، وقد كان عمر أكثر الخلفاء محاسبة لنفسه ، وكان يأخذ أهله بالشدّة ، فإذا أراد أن يصدر أمراً يجمعهم ويبلغهم أنه سيصدر أمراً بكذا وأنهم أول من يطبق عليهم هذا الأمر .
- العناية بأمر القضاء ، وتنزيه القاضي ووضعه في مكانه لاثقة تعطيه الحق في محاسبة الناس جميعاً حتى الحاكم نفسه ودليل ذلك هذه الواقعة : " وجد على بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني ، فجاء به إلى شريح القاضي ، وقال : إنها درعي ، ولم أبع ، ولم أهب ، فسأل شريح النصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ قال النصراني : ما الدرع إلا درعي ، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب ، فالتفت شريح إلى علي يسأله : يا أمير المؤمنين : هل من بينة ؟ .. فضحك علي وقال : أصاب شريح مالي من بينة .

فقضى شريح للنصراني بالدرع فأخذها ومشى إلا أنه لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء ، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي عليه ! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . الدرع درعك يا أمير المؤمنين ، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين فخرجت من بعيرك الأورق . فقال علي : أما إذا أسلمت فهي لك " (١)

- وقد حدد المنهج القرآني عقوبة من يخالف الله ورسوله ويعيث في الأرض فساداً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ

١ - السلام العالمي والإسلام . سيد قطب .

يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾
[المائدة: ٣٣]

وفي ظل المنهج التربوي القرآني سادت الديمقراطية ، وحرية الرأي ما دام في مصلحة الجماعة ، وقد روت كتب السيرة ومصادر التاريخ مراجعة الناس لأولي الأمر حتى النساء كن يراجعن الخلفاء روت المصادر أن امرأة راجعت عمر بن الخطاب في رأيه ، فلما وجده صواباً اقتنع وقال قولته المشهورة " أصابت امرأة وأخطأ عمر".

٢- الناحية الاجتماعية :-

كما نظم القرآن حياة الجماعة السياسية أو وضع لها الدستور الذي ينبغي أن تسير عليه ، فقد نظم - أيضاً - أحوال معيشتها وحياتها الاجتماعية ، وقرن بالعلاقات معيشتها وحياتها الاجتماعية ، وقرن العلاقات بين طوائف الناس المختلفة ، وبين فئات المجتمع ، ووضع الأخر المناسب للتفاعل والتعامل بينهم فقام بما يلي :

• دعا إلى التعاون بين الناس جميعا في كل مناحي الحياة بما فيه صالح

الجماعة ، إيماناً منه بأهمية التعاون في أداء العمل ، - قال تعالى - :

﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ...﴾ [المائدة: ٢]

• دعا إلى الإحسان للوالدين :- قال تعالى :-

﴿...وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ

الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا

رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣: ٢٤]

• رعاية نبي القريبي والإحسان إليهما ، :- قال تعالى - :

﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرْ بَدْرِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء: ٢٦]

• حسن معاملة الجيران والإحسان إليهم :- قال تعالى :-

﴿...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [النساء: ٣٦]

• حسن معاملة غير المسلمين ما لم يعتدوا ، - قال تعالى :-

﴿لَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا

إِلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [المتحنة: ٨]

• الإحسان إلى اليتيم عملاً بقوله - تعالى :-

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ٩: ١٠]

• الدعوة إلى ستر العورة وعض البصر وإخفاء الزينة إلا للزواج ،

- قال تعالى :-

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۗ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ

خَبِيرٌ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۗ وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۗ وَلَا يُبْدِينَ

زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ...﴾ [النور: ٣٠: ٣١]

• التحذير من الغيبة والنميمة ، - قال تعالى :-

﴿...وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ۗ يَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

فَكَرِهْتُمُوهُ...﴾ [الحجرات: ١٢]

وقال تعالى :- ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَا فِي مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾

[القلم: ١٠: ١١]

• النهي عن التجسس والتفاخر، التكبر.

قال تعالى : ﴿...وَلَا تَجَسَّسُوا...﴾ [الحجرات: ١٢]

قال تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨]

• النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والشح :-

-قال تعالى :-

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ [الإسراء: ٢٩]

• التحذير من الخيانة والكذب وسوء الظن -قال تعالى :-

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأنتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧]

وقال تعالى :- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ

إِنَّهٗ ^{بعض} ... ﴿ [الحجرات: ١٢]

• الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالرحمة، قال

تعالى :- ﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤]

وقال تعالى :- ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾

[البلد: ١٧]

• التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع، ولتمثل في إخراج زكاة المال

والزريع والثمار، وبيان مواضع صرفها، وكذلك الصدقات وبيان

مخارجها ومستحقيها، وهي كلها عظمة الفائدة إذ تدعم الرباط بين

طبقات المجتمع وتشعر الفقير بتضامن الناس معه وحرصهم عليه وتشيع

المحبة بين الغني والفقير، وقد وردت آيات كثيرة تحت على إخراج الزكاة

والتصدق على الفقراء والمحتاجين وهو في هذا الصدد يبين أن الملكية

في الإسلام ملكية استخلاف وأن المال مال الله وهو يعطينا هذا المال

لننقله في وجوه الخير وما يعود بالنفع على من حولنا، ويسبب لنا

السعادة والرضا " فالله هو خالق الكون ومالكه، والمال ماله، ولا يملك

صاحبه منه إلاحق الانتفاع به ، فهو عنده وديعة ينفق منه في حدود
أوامر الله " (١)

يقول تعالى : ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْفِينَ فِيهِ
فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ٧]

وقد حددت المنهج القرآني مصارف الزكاة ومستحقيها في قوله :
﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

وقال تعالى في الحث على إخراج الزكاة :

﴿... كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١]

وليس معنى أن الإسلام دعا الأغنياء ورباهم على البذل والعطاء أن ذلك سيولد
طائفة تأنس إلى هذا البذل وتخلو إلى الراحة وتقنع بالعيش على الزكاة وما يعطى
لهم من صدقات فقد حث الإسلام على العمل والسعي ، ويرى عن النبي - ﷺ -
أنه رأى رجلاً قد تجرد للعبادة ولزم المسجد ليلاً ونهاراً فسأل : من يعوله وينفق
عليه فقيل أخوه ، فقال - ﷺ - : (إنه أعبد منه) .

إن طبيعة تكوين المجتمع الإسلامي العامل الكادح النشيط لا تسمح
بوجود طبقة من الفقراء المحتاجين " فقد دل التطبيق في حالاته السليمة على أن

١ - منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ١٩٦ .

الدولة كانت لا تجد من يستحق الزكاة من المسلمين ولا من أهل الذمة فتضعها في الصالح العام ، وكما أمر القرآن بالعمل واعتبره عبادة ، فقد ربي المسلمين على العزة التي لا تسمح لصاحبها أن يعيش عالية على صدقات الناس ، وليس البذل الذي يعنيه القرآن هو مجرد إعطاء الصدقة للفقير أو السائل – كالمهود في بعض المجتمعات – ولكن مفهوم تحديده في سبيل الله : أنه للصالح العام ؛ يعطى للدولة الحق أن تنظمه وتضعه في مصارفها التي حددها القرآن ^(١) "

" ولقد كان الرسول - ﷺ - حريصاً على هذه المعاني ، حتى وصلت تربيته ببعض المسلمين إلى حد أنهم كانوا يرفضون أن يأخذوا حقهم من بيت المال " وعن حكيم بن حزم قال : " سألت رسول الله - ﷺ - فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : يا حكيم ، هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أسأل أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر يدعوك حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يأخذ منه شيئاً . ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى . فقال يا معشر المسلمين أشهدكم ^(٢) على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الغيء فيأبى أن يأخذه ولم يأخذ حكيم شيئاً من أحد من الناس حتى توفي " ^(٣)

١- منهج القرآن في التربية . محمد شديد ص ٢٠٠ .

٢- نفسه ص ٢٠٠ .

٣- رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وفي أمثال هؤلاء الذين لا يظهرين فقرهم للناس حتى يحسبونهم أغنياء غير محتاجين يقول القرآن الكريم :-

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَأَنَّ اللَّهَ بِهٖ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣]

٢- علاقة المجتمع بجيرانه :-

لم يترك المنهج القرآني العلاقة بين المجتمع وجيرانه من المجتمعات الأخرى هكذا بغير نظام ، بل وضع لها الأطر والحدود التي تجعل علاقة الجوار طيبة. أ- فقد أوجب الحفاظ على سلامة الوطن وأمنه وأن تكون حدوده في أمن من غارات العدو واعتداءاته فدعا إلى الجهاد حفاظاً على البلاد وحمايتها من مؤمرات وكيد الأعداء .

وجعل الجهاد فرضاً على أبناء الوطن ، قال تعالى:-

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَثَلًا لِّبِكُمْ إِذْ بَرَّهَيْمٌ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٨]

كما يحث المنهج القرآني المسلمين على الجهاد الحق ، والثبات

في مواجهة الأعداء ، يقول تعالى:-

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣: ٢٤]

ويدعو إلى الصبر عند لقاء العدو ، قال تعالى :-

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُقَلِّحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

ويدعو- أيضاً- إلى الحذر والانتباه لمكر العدو وخديعته ، يقول تعالى :-

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧١]

[النساء: ٧١]

كما يدعو إلى التسلح بالقوة والاستعداد لملاقاة العدو في أي وقت ،

قال تعالى :-

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ءَعَدُّوا اللَّهَ وَعَدُّوكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

ويبين أن القوة ليست في كثرة عدد المحاربين إنما في مدى ثباتهم وصدقهم

في القتال ، فقد يكون عدد الجنود قليلاً لكن الشجاعة والثبات وصدق القتال

يجعلهم كثيراً في عين عدوهم ، يقول تعالى :-

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِرُونَ

يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ

قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥]

أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ

مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ

اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٥: ٦٦]

والمنهج القرآني الذي فرض الجهاد وأوجبه فقد جعله للدفاع عن النفس

والعقيدة ، وليس للاعتداء على الآخرين ، قال تعالى :-

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]

ومعلوم أن المسلمون في فتوحاتهم شرقاً وغرباً في مملكتي فارس والروم لم يكونوا معتدين ، إنما كانوا فاتحين منشرون دين الله وكلمة الحق ، وكانوا نبلاء في حروبهم ، فلم يحرقوا زرعاً ، ولم يقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة عملاً بوصايا النبي - ﷺ - للمحاربين الذين يتشدق السياسة والمصلحون الآن أنها حقوق الإنسان التي وضعتها الأمم المتحدة ، وهي في حقيقة الأمر من وصايا نبينا - ﷺ - أوصى بها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان قبل أن تكون هناك أمم متحدة وحتى قبل أن توجد أمريكا نفسها .

نعم كان المحاربون المسلمون فرساناً يحاربون من منطلق الحق وطبيعة الإسلام السمحة ، وقد أثبت التاريخ أن كثيراً من البلاد التي فتحها المسلمون فتحت سلماً ، فلم يكونوا يحاربون الإمن أصر على القتال ، فإن طلب المسالمة والصلح كانوا يتوقفون عن القتال رغبة في السلم والأمان .
ويثبت التاريخ أن أهل الذمة وأصحاب الأديان الأخرى كانوا يعاملون معاملة طيبة في كنف الحكم الإسلامي .

ب - وفي إطار علاقات الدولة بجيرانها يأمر المنهج القرآني بضبط النفس ، عدم الاعتداء بدافع الكراهية والانتقام ، يقول تعالى :-

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُوا شَعْتِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ
وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالنَّفْوَىٰ ط وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ط وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢]

ولا شك أن ضبط النفس في كثير من الأمور الدولية يبعد شبح الحرب والصراع بين الدول والقرآن بذلك يفتح باب التفاوض والحوار واستماع وجهات نظر كل طرف وهذا من شأنه أن يوصل إلى حل يطرأ من مشطلات تجنب الدول كثيراً من الصدام والقتال الذي بهلك الأنفس والثمرات ويؤثر الخصومة بين الدول .

ويجعل الأجيال المتعاقبة تعيش في قلق فتتوقف التنمية ويتعطل الإنتاج ، وهذا بدوره يؤثر في عجلة الحضارة والتقدم .

ج - الميل إلى السلم إذا مال إليه الجانب الآخر وهذا توجه قرآني يبرز حرص المنهج التربوي على سلامة الشعوب ، إذ يقدم خيار السلم على خيار الحرب والقتال ، يقول الله - سبحانه وتعالى -:-

﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالِكُمْ ﴾

[محمد: ٣٥]

ويقول تعالى :-

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

[الأنفال: ٦١]

وفي نفس الإطار يقول عز من قائل محذراً من الخديعة :

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ

وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢]

د- إقامة العلاقات مع الدول على أساس الوفاء بالعهد والمحافظة على المواثيق .

"وقد قضى القرآن الكريم على فكرة مصلحة الأمة واستباحة الغدر والكذب ونقض العهود بحجة هذه المصلحة ، ذلك بأنه يعتبر الوفاء في ذاته غاية" (١)

١- منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ١٧٠ .

يقول تعالى:-

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۗ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَالِفُونَ ﴿٩٢﴾ [النحل: ٩١: ٩٢]

فإذا خيفت الخيانة كان الرجوع والإنذار بالحرب ، يقول تعالى :-

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأفال: ٥٨]

وقد التزم المسلمون هذا السنن القرآني فكان الوفاء بالعهد شيمتهم ، وأصبحت الخيانة صفة ذميمة يميقتها المسلم أينما كان .

وكان - عليه الصلاة والسلام - في وصاياه للمحاربين الفاتحين بعدم الخيانة والتحذير منها وكان يقول : " اعزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله اعزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا " (١)

"ولما كان معاوية بن أبي سفيان في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد أراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضى العهد غزاهم ، فقال له عمرو بن عبسة : الله أكبر يا معاوية ، وفاء لا غدر ، لقد سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : " من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أحدها أو ينبذ إليهم على سواء " فرجع معاوية بالجيش " (٢)

١- مسلم وأبو داود والترمذي .

٢- منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ١٧٥ .